

تمجيد العمل واستعادة هوية الانسان المغترب عند روني غينون

Glorify work and restore the identity of the expatriate human being at Rene Guenon

نسبمة حياهم

جامعة محمد لين دباغين سطيف 2 (الجزائر) hayahemnassi@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2023/01/28 ؛ تاريخ القبول : 2023/04/13 ؛ تاريخ النشر : 2023/05/20

Abstract

المخلص

Among the contemporary human views is the separation between meditation and work, and the destruction of the comprehensive work of thought, which constitutes one of the manifestations of the civilizational crisis, as this imbalance between the two summers worked to make the goals of work only material. We define the concept of glorious work, its characteristics and cultural implications.

إن من بين آراء الانسان المعاصر الانفصال بين التأمل والعمل، وتدمير العمل الشامل للفكر، وهو ما يشكل أحد مظاهر الأزمة الحضارية، حيث عمل هذا الخلل بين الصيغتين على جعل غايات العمل مادية فقط، لذلك نسعى في هذه المداخلة إلى تحليل الفعل من زاوية تأصيلية بالرجوع إلى السّياقين الغربي والتّراثي فنحدّد أولاً مفهوم العمل المجيد المقدّس، ثم نبين ثانياً خصائص العمل المشتّت وتأثيره على الحضارة، من خلال تحليل الانتقال من الحرفة إلى الصّناعة واثره في اغتراب الانسان، لنصل أخيراً إلى بيان الجوانب التّنفيذية لتقديس العمل واستتبعاتها الحضارية بالاستناد إلى آراء روني غينون،

Keywords: Meditation ; work ; sacred ; craft ; industry ; alienation.

كلمات مفتاحية: التّأمل، العمل، المقدّس، الحرفة، الصّناعة، الاغتراب.

1-مقدمة

السؤال عن معنى "العمل" ليس بالجديد، باعتباره من جملة الأسئلة الفلسفية المطروحة على مر العصور، بيد أن الإجابة عنه قديما تختلف عما هو متداول في الفكر المعاصر، فالعمل كان ممجداً عند القدماء وهذا أمر بديهي بالنسبة إليهم لكنه اليوم فقد وقاره وعظمته، لذلك يعود استشكال دعوى "تمجيد العمل" عند الفيلسوف الفرنسي روني غينون (1886-1953) في الحضارة الغربية إلى وعيه بالهيرة التي تقع فيها هذه المجتمعات، فنجد حضور سؤال العمل في هكذا مناخ -أعني المناخ الذي أفرزته الحداثة- بايجابياته وسلبياته يحاول إعادة النظر في التأثيرات المتزايدة على النشاط البشري ضمن المجتمعات الصناعية، من هنا يكون الاشكال الرئيسي الذي سنحاول الإجابة عنه كالتالي: كيف يساهم تقديس العمل في استعادة هوية الإنسان المغترب عن ذاته؟، وقبل ذلك، أنى للعمل أن يكون عملاً حقاً أي متى يكون العمل مجيداً رفيعاً مقدساً؟.

2- مفهوم العمل المجيد وخصائصه

إن المراد "بالعمل المجيد" في هذه المقالة ليس مجرد الأنشطة والمسارات المعروفة في الحياة اليومية، الروتينية والهادفة في النهاية الى اشباع الحاجيات الأساسية وحتى الكمالية للإنسان لتبيتها. إن طلب معنى "العمل المجيد" يستلزم تجاوز هذه الرؤية السطحية للمسألة، وفي تحليل المراد "بالمجد" في عبارة " العمل المجيد" يمكن تفسير المعنى كما يلي:

أولاً: "المجد" بمعنى "المقدس"، أي أن العمل المجيد يعني العمل المقدس، وعندما يكتسب العمل صفة القدسي فهذا يعني ارتباطه بالدين أو مبادئ ثابتة، حيث يكتسب شرعيته منها، وهذا يعني عند غينون أنه "لا يوجد شيء يمكن في هذا الصدد اعتباره غير جدير بالاكتراث أو لا معنى له" (غينون، 2014، ص67) فكل الأعمال ذات قيمة مهما كان نوعها.

ثانياً: "المجد" بمعنى "الرفع"، وهنا يكون معنى العمل المجيد أي الرفع، فيظهر الهدف من العمل إذا كان هدفاً عال وجدير بالقيمة وذو معنى، وهذا المعنى هو الشائع في الفكر المعاصر، والذي يحاول دوماً تجاوز مفردة "المقدس" الجدلية في الحضارة المادية.

يتضح مما سبق أن "العمل المجيد" يتكوّن من جزئين هما: العمل، والمجيد، وخلافا للمفكرين المعاصرين الذين ركزوا في موضوع "العمل المجيد" على "العمل" وأشبعوه بحثا، خصّص غينون جهده لتحليل الجزء الثاني من الموضوع، أي "المجيد"، فمن وجهة نظره لا يهم العمل فقط وإنما تهّم الصفة التي يتسم بها في الحضارات المتطورة، أو التي ستلحق بركب النّطّور، ومصطلح "العمل المجيد" مستلّ من توصيفات العمل الهادف والمبارك كما ورد في الأديان، يقول غينون في تأكيد ذلك: "العمل لما يكون كما هو في الرؤية التراثيّة، فقط في هذه الحالة فهو أعلى بكثير مما بمقدورهم أن يتصوروه" (Guénon, 1948, p656) أي أكثر من تصورات الغربيين المعاصرين.

يرى غينون أن السّؤال عن ماهية العمل المجيد إنما يكون مسوغا؛ إذا لم يكن ذات العمل بمعناه الغربي المعاصر وبعبارة أخرى: إن فرضية "العمل من أجل العمل"، أو "العمل من أجل منفعة" لا تتسجم مع السّؤال الضروري والاشكالي عن معنى العمل. لو عمدنا الى اختزال جميع مسارات العمل في أدنى مراتبه واكتفينا بمجرد العمل الغافل اليومي، والذي يكون K مربوطا بالعادات والأعراف والاحتياجات والغرائز، وتجاهلنا كل ابعاده السامية الأخرى، ففي مثل هذه الحالة سوف يكون العمل من أجل البقاء هو هدف الانسان النهائي، وهكذا يضحي السّؤال عن معنى العمل المجيد عبثا خاليا من المعنى.

إن السّؤال عن معنى "العمل المجيد" إنما يكون قابلا للطرح؛ إذا كان العمل عبارة عن وسيلة للوصول إلى غاية أكبر ومنزلة أسمى. لقد التقت غينون إلى هذا السّؤال بشكل جاد، فسعى إلى العثور على أمر يفوق المسار العادي للعمل اليومي، بل حاول أن يضفي قيمة راقية على هذا المسار العادي، وتحويله إلى درجة أولى للارتقاء في سلم طويل من الغايات.

أكد غينون أن الأمر الذي يضفي أهمية وقيمة إلى العمل العادي، وينفخ فيه الروح، لا يمكن أن يكون جزءا من الحياة اليومية ذات الأهداف الدنيوية فحسب، فذهب لوضع شرط صريح لاكتساب العمل صفة المجد، ألا وهو "الملاءمة مع طبع القائم به"، يقول: "لكي يكون العمل، مهما كان نوعه، كما ينبغي أن يكون عليه، لا بد قبل كل شيء أن يكون عند القائم به مناسبا "لما خلق له"، أي لطبيعة فطرته" (غينون، 2014، ص64).

لا شك أن هناك فائدة عظيمة تجنى من كون "العمل مجيدا"، حيث تتراجع المنفعة المادية لتصبح هدفا ثانويا فقط ويصبو الانسان لتحقيق غاية أسمى وهي: الرقي الروحي، والتحقق بالفعل لطبيعة الكائن الانساني.

لذلك نجد أنه في الحضارات التراثية بدلا من البحث عن مفهوم العمل المجيد يطرحون سؤالا آخر قريبا منه، وهو البحث عن طبيعة الكائن البشري، لقد كان للبحث عن طبيعة الكائن وتحليلها منزلة خاصة في الفكرين الشرقي واليوناني وحتى العصر الوسيط.

يرى غينون أن الانسان مجبول على إمكانيات، وهي منطوية في الكائن الإنساني ضمن حدود فرديته (غينون، 2016، ص107)، وهي أيضا تختلف من فرد انساني لآخر، وبعبارة غينون: "تتكون الطبيعة الخاصة لأي فرد منذ البداية من كل الميول والقدرات التي سوف تنمو وتتجلى في مسار وجوده، والتي -على سبيل المثال- سوف تحدد مؤهلاته لأداء وظيفة اجتماعية أو أخرى، وهذه هي النقطة التي تهمنا هنا، ومعرفة الطبيعة الفردية سوف يمهّد الطريق لإسناد وظيفة تناسب طبيعته أو بطريقة أخرى، أن يسند إليه تكليف في منظومة اجتماعية" (غينون، 2003، ص159).

إن، فسعادة الانسان تكمن في إدراكه لقدراته، والعمل وفقها، لتحقيق كماله الذاتي ودوره الاجتماعي، وفائدة كل هذا الحصول على حياة مثالية، لأن السير وفق هذا النمط من العمل سوف يخلص الانسان من مخاوف الإخفاق والحزن والعدمية، ويمكنه من تحقيق دوره الاجتماعي.

إن لوازم هذا النهج متواترة في كل الحضارات التراثية، لذلك نجد أن الحياد عنه إنما يعني عند غينون انهيار شامل لكل الهياكل المشروعة، ويعطي غينون مثلا عن ذلك بالأوروبيين الذين يسعون دوما إلى الارتقاء بمستواهم إلى مستوى أعلى في الوظائف، وما يلزم عن ذلك من اجراء تغيير في الطبيعة الفردية، فبإمكان الغربي أن يمارس أي وظيفة اجتماعية حتى وإن كان غير مؤهل لها، ويكفي الثراء معيارا كي يتقلّدها دون مانع (غينون، 2016، ص159).

لكي يكون العمل مجيدا، لابد أيضا من أن يكون مسبوqa "بالتأمل"، بذلك يفضل التفرقة بين المفهوم السطحي للعمل، والمفهوم العميق، فإذا كان سطحيًا فهو مجرد شغل شاغل، أما إذا كان عميقا باطنيا فهو رسالة في الوجود، يقول غينون: "العمل يصبح مجيدا، أي أنه يتجهر، فبدلا من أن يكون مجرد نشاط سطحي غافل، يضحي مساهمة واعية وفعالية في تحقيق ما دبره المبدع الأعظم للكون"

(غينون، 2014، ص66)، وبذلك يصحّ اعتبار العمل البشري الجهد الذي يمارسه الانسان لإخراج الفكرة إلى العين "الوجود".

إن الشروط السابقة التي تحقق لنا العمل المجيد لا معنى لها في العمل بمفهومه الغربي المعاصر، فهو لا يستوفي تلك الشروط، زد على ذلك أنه لا يقدّم تبريراً لنفسه، فبينما يستمد العمل المجيد قيمته من منظومة عليا، يستمدّ العمل المغترب قيمته من المنفعة، أو من منظومة فلسفية وأخلاقية، وبالتالي يستمد قيمته من ذاته باعتبار تلك المنظومات عبارة عن تواضعات بشرية ناقصة، لذلك فكل عمل يتم العودة به الى ذاته للحصول على تسويغ أو تمجيد، لذلك يؤكد غينون أن "العمل لا يمجّد بخطب طنانة" (غينون، 2014، ص66).

تأسيساً على السابق يمكن التفرقة بين العمل المجيد والعمل المغترب على النحو التالي:

العمل المجيد	العمل المغترب
مفروض أو واجب	طوعي اختياري
منظم وفق ترتيب هرمي	ترتيب أفقي
ثابت	متقلّب ومتحرّك
دائم	عرضي ومرتبّط بالأحداث
في خدمة الجماعة	في خدمة الأفراد
قائم على المبادئ الخالدة ومرتبّط بالقيمة	لا مبدأ له سوى الصيرورة
مناسب لفطرة القائم به	مناسب للتطلّعات الفرد المادية
له فاعلين على الأقل	لا يشترط مشاركة فاعل آخر

الجدول 1: الفرق بين العمل المجيد والعمل المغترب

3- الانتقال من الحرفة الى الصناعة ودوره في اغتراب الإنسان

منذ العصور القديمة، كان ينظر إلى "الحرفة" على أنها ممارسة ضرورية للإنسان ضمن الحياة الاجتماعية، وإن كانت قيمتها متباينة بين مجتمع وآخر ففي اليونان جعلها أفلاطون من نصيب الأشخاص الذين يتمتعون بقدرات عادية جداً، والذين لا يتطلّب جهدهم أي تفكير عقلي ومنطقي، لقد سعى الى تحليل القدرات الطّبيعية أو الفطرية بشكل تفصيلي، حيث رأى أنها تشكّل لبنة أولى لبناء الطبقة الاجتماعية، فهي ذريعة للحثّ على العمل مهما كان نوعه. لذلك فإنّ: "نبالة الفكرة التي تعكس كمال الكمون، تباين إذن، اتسام العمل في المادة بسمة الحطّة والخسة، وهو واقع يفترض سلفاً وجود واقع ناقص غير ناجز" (أرفون، 1989، ص12).

أما في الفترة الوسيطة أو القروسطية فقد دافع الكثير من الفلاسفة والآباء عن العمل وبالتالي "الحرفة" ورفعوا من شأنه، فالعمل مهما كان نوعه حتى وإن كان ميكانيكياً لا يجب أن يحقّر، لأن "العمل الإنساني صناعة إنسانية تعكس الابداع الإلهي، الفن الإلهي، ويؤلّف استطالته" (أرفون، 1989، ص14). نشاط الإنسان في ثوب حرفي السبيل المتاح آنذاك أمام التّنظيمات السريّة والدّينية للقيام بوظيفتها الشّعائرية والاجتماعية معاً، أي أن هناك منظمات قامت على ممارسة الحرف ظاهرياً، لتروّج لأفكارها باطنياً، وتقوم بوظائفها مثل "تنظيم فرسان الهيكل" والذي سمي فيما بعد "بالبنائين الأحرار"، فالتّخفي في هذا المجال الحرفي كان يعد قاعدة ويمثّل انسجاماً حقيقياً مع النظام الكلّي للأشياء، فالحرفي لا ينتج صنعة ليعرف بها وإنما لكونه يقوم بوظيفة أو عمل من طراز حيوي وليس ميكانيكي، أي أنه توجد رتبة روحية تقوم على الحرفة بمعنى أن الفردية الخارجية أو النسب تختفي في حالة ممارسة حرفة ما (غينون، 2013، ص77، 78).

وفي الحضارة الإسلامية تمّ تقديس العمل مهما كان نوعه، وهذا يبدو جلياً في تعاليم الدين الإسلامي، وذلك لعدم كفاية العلم المجرد وحده، بل إن بعض الأنبياء مارسوا حرفاً دادة والخياطة والرعي يضرب أبو حامد الغزالي مثالا على ذلك برجل في البريّة يحمل سيوفاً وأسلحة مع اضطلاعاً بكافة فنون وأساليب الحرب والقتال، فلو أنّ أسداً هجم عليه، وهو عدم استعمالها وتقاعس في الدّفاع عن نفسه فإنه لن تقيده الأسلحة والفنون التي تعلّمها (الغزالي، 2010، ص98).

لكن مع بزوغ فجر العصر الحديث فإن الحرفة أمست في خطر مع ظهور الصناعة والتقنية والرغبة المتزايدة في تحقيق المنفعة والمصلحة، فهناك العديد من العوامل التي فرضت انتصار الصناعة بالإضافة إلى ما سبق، ومن بينها "التخصص، لأنّ: "الاختصاص المتزايد فكر يمنع الفكر من الإحاطة بالأثر، كما يفرض على السيد انجاز عمل مفتت لإنتاج أثر تجهله، وثمة هوة تصوّر الأثر عن تنفيذه" (أرفون، 1989، ص54).

أيضا باعتبار كمية الإنتاج والسرعة والسهولة وانتشار الآلية وطغيانها، والتي تجعل الانسان مجرد آلة دوره تنفيذ حركات ميكانيكية دون معرفة دوافعها وكذا غاياتها، مما جعله يفقد انسانيته ويغرق في الكم المحض حيث "لا هدف له سوى انتاج اكبر كمية ممكنة من الأشياء، أشياء في منتهى التماثل فيما بينها، يستهلكها بشر بفترض انهم كذلك كلهم متماثلون" (غينون، 2013، ص73).

لقد استحوذت الصناعة على كل المجالات ولم تعد الحرفة سوى هامش، بل صارت منعدمة القيمة وينظر اليها بازدراء، مما ساهم في اختفاء الكثير من الحرف لذلك يمكن تحديد الفروق بين الصناعة والحرفة وفق ما يراه غينون على النحو التالي:

الحرف التقليدية	الصناعات الحديثة
هيمنة الكيف	غلبة الكم
عقل متعالي	عقل حسابي نفعي
معرفة الانسان لذاته	اغتراب الانسان عن ذاته
وحدة الذات والموضوع	الفصل بين الذات والموضوع
ابداع	تقليد
تنوع واختلاف	تماثل مطرد

الجدول 2: الفرق بين الحرفة والصناعة

تأسيسا على السابق ثمة أوجه اختلاف عديدة بين الحرف العتيقة والصناعات الحديثة سواء من حيث الطبيعة، أو من حيث المعرفة والاعتقاد، أو من ناحية الإدارة والعمل، ففي هذه الدوائر الثلاث يوجد تفاوت واضح بين الحرفي القديم والصناعي الحديث.

إن أهم فارق بين الحرفة والصناعة في نظر غينون هو ميزان الكم والكيف فبينما يغلب الطابع الكيفي على الحرف، تتجه الصناعة نحو زيادة الربح، وهذا راجع بالدرجة الأولى لسيادة العقل الأداة النفعي في الصناعة (غينون، 2013 ص68) ، هذا من جهة.

من جهة أخرى، كانت المذاهب التراثية تطلق تعبير الصانع والمبدع بنفس المعنى على الانسان الممارس لفنه "حرفته" بينما المعاصرين يميزون بين الصانع والحرفي والمبدع، وقد وطأ هذا الفصل لفصل آخر بين الفنون والحرف، وبين الابداع والصنع (غينون، 2013، ص68) ، ولعل هذا الفصل الأخير يهدف إلى وضع الأمور الطبيعية والبشرية خارج الإرادة الإلهية، وتفسيرها فقط بمعرفة علمية إبستمولوجية تمكن الإنسان من فهم الكون والإبداع على شاكلته، وانتهى هذا الفصل بالإطاحة بالمفهوم الأصل للحرف والفنون، بأن تصورته عملا ماديا بحثا يحيط به غموض، والاقرار بحرية وقدرة الإنسان على انتاج أفعاله وخلق أفكاره باعتباره منهج المعرفة والحقيقة.

لا يمكن حجب التباين الحاصل بين المعرفة والصناعة الحرفية، من هنا بدأت الحملة الغينونية ضد هذه الأخيرة نقدا ورفضاً، لأنها تقضي على إنسانية الإنسان، وتجعل منه شبيه الآلة، ينفذ حركات ميكانيكية دون معرفة دوافعها أو غاياتها، عبدا لا مصير له ولا أفق، ومنتجاته لا تشبه ابتكارات الحرفيين في شيء وقد جاء انكار هذا نتيجة لرفضه المسبق ذوبان الإنسان في الكم، وتحويله إلى وحدات، وتركيزه على الكمية، إذ "لا هدف له سوى انتاج أكبر كمية ممكنة من الأشياء أشياء في منتهى التماثل فيما بينها ليستهلكها بشر يفترض أنهم متماثلون" (غينون، 2013، ص73) هؤلاء البشر المتماثلون والمختزلون إلى ما هو بسيط يسببون على نمط واحد في الحياة، والمنتجات التي يستهلكونها، والمساكن التي يقطنونها، معبرا عن هذا الوضع بقوله: "يقطنون في خلايا كخلايا النحل، أقسامها جميعا مسطرة على نفس النمط، ومؤتة بأشياء مصنوعة بالجملة، لكي يلغي من الوسط الذي يعشون فيه كل تميز كيفي" (غينون، 2013، ص73) ، لقد اكتسبت المجتمعات وكذا البشر طابع التشابه والنطابق (صورة طبق الأصل) منذ أن عمدت إلى التطعيم بالكم والتماثل والآلية لقاحات ضد كل تميز محتمل الظهور تحت غطاء الموضة.

4- هيمنة الصناعة وأثرها على المجتمعات

4-1- أهمية الحرفة في حفظ المعرفة المقتّعة

في مقالة بعنوان "القناع الشعبي" يسلط غينون الضوء على سواد الشعب هذه الطبقة المهمشة في المجتمعات الصناعية والمهمة في الوقت نفسه، فقد عرض امكانياتها المتعددة رغم بساطتها قبل انطلاقه في بسط دورها الاجتماعي والثقافي في الحضارات، والعلاقة بينها وبين الصفوة، فالمجتمع يقوم -حسبه- على ثلاث طبقات العليا، والوسطى، والدنيا، والصفوة أو الهيئة المخوّلة بحفظ إرث حضارة ما تختار أدنى الطبقات لحفظ اسرارها، وسبب ذلك اتسامها بالأمانة في حفظ المعرفة، هذه الأخيرة التي غالبا ما تصان في شكل قصص شعبية وفلكلور ، بالرغم من عجزها أحيانا عن فهمها لأنها من طراز باطني، لذلك لا غرابة أن يصف غينون سواد الشعب بالخزان الذي يمكن أن يخرج منه كل شيء سواء كان حسنا أو سيئا تبعا للمؤثرات الخارجية. ففي خضم هذه الإشادة يتألق سواد الشعب قناعا على وجه الصفوة باكتنازهم إمكانيات كبيرة تبحث عن من يخرجها إلى حيّز الفعل والوجود، هذه الطبقات الدنيا غالبا ما تقتات على الحرف البسيطة، والتي غالبا لا تملك قيمة كبيرة في زمن الصناعة والانصراف صوب الطبقات الوسطى واليد العاملة (غينون، 2014، ص155، 156).

يؤكد غينون أن الحرفة لا تتسم بالخسة والحطّة وإن بدت كذلك في عالم المادة أو هيمنة الكم، بل إن بعض الحرفيين حكماء، حكمتهم تساعد في حفظ التنظيمات السرية الهادفة وليست الهدامة، مثل "فرسان الهيكل" الذين أخفوا أنفسهم بين العمال البنائين، وقد ساعدتها الحرفة على حفظ الكثير من الحقائق الباطنية وكان انحطاطها بالتالي أهون من التنظيمات التي تسربت إليها عناصر تنتمي الى الطبقة البرجوازية (غينون، 2014، ص159).

بإيجاز، إن الحرف تتمتع بأهمية خاصة ضمن المجتمعات التراثية المعرفية والعرفانية. فهي تعبر عن التّميز وعن الابداع، وتعدّ مساحة وحيّز أمام الجميع لإثبات أهليتهم في خدمة المجتمع ماديا وروحانيا، بحفظ وديعة التراث.

4-2- نتائج هيمنة الصناعة

بعد أن عالجنا العمل والحرفة والصناعة من ناحية تاريخية، وكيف جرى الانتقال من الحرفة الى الصناعة ننقل الآن الى جانب مهم وهي تحديد نتائج تدنيس العمل الإنساني، وهي مسألة تتعلق بأزمة الانسان المعاصر . إن انحطاط العمل الإنساني وعدم تعبيره بشكل كاف عن ذات الإنسان، وبالمفهوم الماركسي اغترابه، أدى إلى العديد من النتائج السلبية عند غينون منها ما يلي:

4-2-1 انحطاط العملة

قد تبدو ظاهرياً أنّ العملة لا تتعلق بقيمة العمل، أي أنها لا تتعلق بالعمل إلا بنحو خاص، غير أنها تجسيد واضح لمفهوم "العمل الغافل"، وبالتالي "الحياة الاعتيادية" لاقتصادها على "الكم" فقط، وبالتالي فهي تقع في صلب موضوع العمل. وللعملة دور بارز في الاقتصاد دون شك، بل هي المهيمنة في المجتمع المعاصر، واكتساب العملة الطابع الكمي جعلها في انحطاط مستمر حيث فقدت قيمتها النوعية باعتبارها حاملة لرموز التراث الروحي (غينون، 2013، ص224) حيث لم تعد العملة تمثل أي شيء غير الطابع الكمي الصرف، وهو نفس الأمر المميز للصناعة الحديثة، ولكل ما يتعلق بها، فلنقدّر أي شيء مهما كان أو أي عمل ومنتوج يجب أن يعبر عنه برقم أو مبلغ أو كمية عددية من النقد (الثن الحصري)، بل الأدهى من ذلك لم تكتفي المجتمعات الصناعية بتقدير الأشياء المادية حسب سعرها فقط تعدتها للإنسان، فقيمة الإنسان ثروته أو ما يملك (غينون، 2013، ص127)، منذ أن فقدت العملة قيمتها أو لنقل ضمانتها أو كفالتها التي هي من طراز سامي وكيفي، أمست لها نفس القيمة الكمية وهذا ما أثر على القدرة الشرائية التي أضحت تتدهور باستمرار، وربما هذا يفقدها بمرور الوقت مبرر وجودها المادي والعملي وقد تختفي من الوجود الإنساني (غينون، 2013، ص128).

4-2-2 فقدان المركز

فإحدى آراء الانسان المعاصر الانفصال بين العمل والقداسة، ناهيك عن تدمير العمل بمفهومه الروحي، والتضحية به في سبيل العمل النفعي، الذي تكون عوائده مادية، من هنا فقد الانسان ذاته، بمعنى أن من نتائج تدنيس العمل :فقدان المركز، وتمنّع رؤية المركز، ورسالة العمل الإنساني من أن يكون لهوا لا معنى له في محاولة الانسان الحديث راضيا بالحافة وقانعا بعمله المشتت" (نصر، 2019، ص119).

4-2-3 انتصار قابيل

إن انحطاط العمل في النظام الإنساني والاجتماعي له تبعيات أخرى تجعل كل شيء يسجل ويقنن (آلي)، فحتى البشر يصبحون وحدات عددية كلّها متماثلة فيما بينها فالإدارات الحديثة أصبحت تضع الجميع ضمن مقياس متوسط (عمومي) كل هذا يؤدي إلى نفي الحرف، وبالتالي المجتمعات التي تعيش عليها (الشعوب الرحل) يستدل غينون برمزية الإنجيل التي تظهر قابيل كمزارع وهابيل كراع إذ يمثلان نموذجين من النشاط الإنساني منذ بدء الخليقة، والباقي عرضي فالحديث عن شعوب صيادة أو قناصة كما يفعله علماء السلايات أخذ بالعرضي، لذلك فالشعوب المعاصرة أو الصناعية هي شذوذ أيضا خاصة في بعض أنشطتها التي أصبحت مادية صلبة (غينون، 2013، صص 159، 163).

5- الجوانب التنفيذية لتقديس العمل واستتبعاتها الحضارية

يمكن أن يكون العمل مجيدا في شتى المجالات والتخصصات من عاليها إلى سافلها شريطة عدم الاخلال بالشروط السابقة، أهمها جميعا الملاءمة مع الطبع والارتباط بالمبادئ العليا القيمية والروحية للمساهمة في البناء الحضاري، لذلك يمكن للعمل المجيد أن يدخل ضمن عديد المجالات على النحو التالي:

5-1 تربويا:

حيث يؤكد غينون على ضرورة أن يلحق المربون للمربين حقيقة أنّ ما يمكن عرضه عليهم لتربيتهم نابع من أنفسهم وحاجاتهم، ولس واقعا خارجا عن ذواتهم وبعبارة أخرى، ان يكون المحتوى يلائم خصائص ذواتهم، ضف الى ذلك، أن يكون مقبولا ضمن جماعة ما، ويساهم في تطويرها لمجاوزة زمن الأزمات (غينون، 2014، ص 167).

5-2 اجتماعيا:

الميول التي سادت في الفترة الراهنة من بينها "العمل لأجل العمل" و"العمل لأجل منفعة" لترويج نمط الحياة الاعتيادية سوف يستمر ويتزايد، لذلك فإن تمجيد العمل سوف يقضي على تلك المطالب غير المعقولة، وذلك بخلق نوع من العمل الكيفي

5-3 اقتصاديا:

على الانسان أن يندمج في النطاق الاقتصادي العالمي ويحاول بجد ابتكار نظريات أخرى أكثر عملية، والمحافظة على المعاملات التراثية، مثل الاقتصاد الإسلامي ورفض الاقتصاديات المنفصلة الأخلاق والمبادئ رغم مشروعيتها العملية والقانونية (نصر، 2019، 297).

5-4 سياسيا:

يمكن لتمجيد العمل ان يساهم في استعادة الحكم القائم على النظرة التراثية مما يعني أن الحكم ينبغي أن يكون في يد صفوة مؤهلة لذلك، ، فلا يتسم أي عمل بالخسة إلا إذا كان عكس ذلك، من هنا لا فرق بين الحرفي والفنان أو الصانع (غينون، 2014، ص65).

تطبيق الرؤية التمجيدية للعمل وفق ما أشرنا إليه سابقا يؤدي إلى حفظ التوازن القائم بين الطبقات الاجتماعية، فتؤدي كل طبقة وظيفتها وعملها وتساهم في تحقيق الانسجام الكلي في الوسط الكوني، وبالتالي استعادة العصر الذهبي في العصر المظلم، أو العصر الحالي كما يسميه غينون، أو الكالي يوغا، والأهم من ذلك كله هيمنة الكيف بدلا من الكم والمادية فتتحقق رسالة الإنسان الروحية، لتحقيق المخطط الإلهي في العالم (غينون، 2013، ص290).

6- خاتمة

إن الاهتمام بالعمل وتمجيده وفق معايير الحضارات التراثية، ومنحه قيمة عليا يمثل مدخلا إلى استعادة العصر الذهبي للحضارة الراهنة، بل يساهم في تجاوز الخواء الذي حصر في قبوه الانسان المعاصر، فالتذكير بالجانب الآخر من العمل أو الميتا-عمل -إن صح التعبير- يساهم في استعادة المعنى من الحياة، وهوية الانسان المغترب عن ذاته وفعله، لذلك لا غرابة أن يلبس غينون العمل كافة الوجوه الميتافيزيقية والدينية لكي يصل الانسان إلى تحقيق ذاته الفعلية، ثم يلي ذلك ادماجه في مسار البناء الحضاري، لكن يبدو أن المعيار الذي يطرحه للحكم على مجد العمل يطرح هو الآخر جملة من الإشكاليات، من ضمنها كيف يمكن للإنسان في عالم الصناعة والاقتصاد الرأسمالي أن يلتفت الى المعاني الخفية للعمل وأوجهه الماورائية، وهو الكادح في سبيل المنعة المادية، والغارق في التماثل المطرد، وعالم الصيرورة؟.

6-المصادر والمراجع

أ- بالعربية

1. أبو حامد الغزالي. (2010). *أيها الولد* (الإصدار 4). بيروت، لبنان: دار البشائر الاسلامية.
2. روني غينون. (2003). *مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية والهندوسية بوجه خاص* (الإصدار 1). (عمر الفاروق عمر، المترجمون) القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
3. روني غينون. (2013). *هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان* (الإصدار 1). (مفتاح عبد الباقي، المترجمون) إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
4. روني غينون. (2014). *التربية والتحقق الروحي تصحيح المفاهيم* (الإصدار 1). (مفتاح عبد الباقي، المترجمون) إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
5. روني غينون. (2014). *نظرات في التربية الروحية* (الإصدار 1). (مفتاح عبد الباقي، المترجمون) إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
6. روني غينون. (2016). *مراتب الوجود المتعددة* (الإصدار 1). (مفتاح عبد الباقي، المترجمون) إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
7. سيد حسين نصر. (2019). *الاسلام ووعثاء الانسان الغربي الحديث* (الإصدار 1). (عمر نورالدين، المترجمون) القاهرة، مصر: آفاق للنشر والتوزيع.
8. هنري أرفون. (1989). *فلسفة العمل* (الإصدار 2). (العوا عادل، المترجمون) بيروت، لبنان: منشورات عويدات.

ب- بالفرنسية

1. Guénon, R. (1948). *sur la glorification du travail*, paris.